دراسة تحليلية للفقر وآثاره في كتاب نهج البلاغة

الدكتور السيد رضا مهدي نژاد
أستاذ مساعد، عضو الهيأة العلمية في قسم تاريخ الحضارة الإسلامية، جامعة المصطفى العالمية، إيران
Sr_mahdinejad@miu.ac.ir
مصطفى هاشم سعد سواعد
طالب الدكتوراه في قسم تاريخ الحضارة الإسلامية، مجمع الإمام الخميني للتعليم العالي،
جامعة المصطفى العالمية، إيران
mstfymwswy@gmail.com

An analytical study of poverty and its effects in the book of Nahj al-Balagha

Dr. Seyed Reza Mahdi Nejad
Assistant Professor , member of the faculty of Islamic Civilization History, Al-Mustafa Al-Alamiya University , Iran
Mustafa Hashem Sa'd Sawa'id
PhD student , Department of History of Islamic Civilization , Imam Khomeini Higher Education Complex , Al-Mustafa Al-Alamiya University , Iran

الملخص:-

نهج البلاغة هو الواقع مختارة من كلمات أمير المؤمنين a ، تشتمل على الخطب والرسائل والكلمات القصار، وقد قالها أمير المؤمنين a في مناسبات مختلفة واوقات متباينة. ولما كانت خطبه ورسائله وكلماته لا تنفصل عن منهجه a في تغيير أوضاع الأمة الإسلامية وتحقيق السعادة المنشودة لها، فقد جاءت هذه النصوص بصورة وثائق سياسية تحكي مسار الدولة الإسلامية وأساليب إدارتها، وطرق حل مشاكلها، والفنون السياسية المتبعة فيها. والإمام a كان يعالج مشاكل الأمة وقضايا الدولة بموقف عملي ونظري في آن واحد، فمن زاوية كان يوجه انظار الناس والولاة وكل المعنيين الى المشكلة ذاتها، ثم يبين الطرق ويضع الحلول المناسبة لها. ولما كان الاقتصاد غير منفصل عن حياة الناس، فكان من الطبيعي أن يتضمن نهج البلاغة موضوعات اقتصادية تتعلق بمختلف شؤون الدولة والحياة. وبنظرة واحدة سنلاحظ أننا امام حشد كبير من نصوص تتضمن أفكار اقتصادية، وهي بحاجة الى عملية تعدين واستخراج ثم وضعها في نسق منتظم لتصبح بصورة نظرية متكاملة. وتتم العملة بخطوتين: الأولى: استخراج النصوص الاقتصادية، وايضاً التي تتضمن استخدامات في مختلف الانشطة الاقتصادية. الثانية: تصنيف هذه النصوص الى دائرة الفقر واسبابه وعلاجه. ومنهج البحث هو الدخول الى الحياة من زاوية النصوص الاسلامية وتبويبها على ضوء حياتها، وهذا المنهج من شانه ان يؤسس علوماً اسلامية لا تشوبها شائبة الحداثة، اما دور العلوم الحديثة فهو فتح آفاق أرحب أمام النص الإسلامي يشق طريقه الى الحياة كمنج شامل لا يشوبه النقص، وهو المنهج الذي اخذنا به في الدراسة المقتضبة.

الكلمات المفتاحية: نهج البلاغة، الإقتصاد، الفقر، أسباب الفقر، علاج الفقر.

Abstract:-

Nahj al-Balagha is in fact a selection of the sayings of Amir al-Mu'minin, peace be upon him, which includes sermons, letters and aphorisms, which Amir al-Mu'minin (PBUH) made on different occasions and situations. Since his sermons, letters and aphorisms are not separate from the method he had in changing the situation of the Islamic Ummah and achieving the desired happiness for it, these sayings and texts have come in the form of political documents, which indicate the path of the Islamic government and its administration methods and practices for solving its problems, and the policies followed in it. Imam (PBUH) dealt with people's problems and government issues at the same time. Then, he would direct the attention of the people, governors, and all those involved to the same problem from another angle, then he would explain the methods and provide suitable solutions for it. Since the economy is not separate from people's lives, it is obvious that Nahj al-Balagha includes economic issues related to various affairs of the country and life. At a glance, we realize that we are in front of a lot of texts that contain economic ideas and need an extraction process, then these ideas should be put together in order to form a unified theory. This process is carried out in two stages; first: extraction of economic texts, which at the same time includes cases of use in various economic activities; and second: classification of these texts in the gamut of poverty, its causes and solutions. The research method is studying life from the perspective of Islamic texts and categorizing them based on their author's lives. This method can establish some Islamic sciences which are not defiled by modernity. But the role of new sciences is to open wider horizons for the Islamic texts, which opens its way to life as a comprehensive method that has not been distorted by any defects and shortcomings, and this is the exact method we used to write this thesis.

Key words: Nahj al-Balagha, economy, poverty, causes of poverty, eliminating poverty.

المقدمة:ـ

الفقر، هو أسوء ما يصاب به الانسان من الكوارث في حياته، وقد تعاضدت محاولات البشر على طول التأريخ لقلع هذه الآفة لكنها ظلت مستمرة على رغم الجهود المبذولة، وظلت تفتك بطبقات مستضعفة من البشرية حتى يومنا هذا.

وقد بعث الله سبحانه وتعالى الأنبياء والرسل، وبعث معهم البينات، وهي تحمل علاج هذه الرذيلة الاجتماعية، لكن في كل مرة كان هؤلاء الرسل والانبياء يصطدمون بدسائس الاغنياء، الذين كانوا في اكثر الاوقات رأس الحربة المعادية للأنبياء ولرسالاتهم.

والإسلام- الذي هو آخر رسالات السماء الى أهل الأرض- جاء بمنهج قويم للحياة يكفل حل كل المشكلات البشرية وعلى رأسها بالطبع الفقر، فقد وضع الأسس الصحيحة لبناء نظام اقتصادي تتوفر فيه كل وسائل السعادة والرخاء والازدهار، وفي الوقت نفسه وضع في مواجهة الاخطار الكوابح الكفيلة لمنع تسري الامراض والأوبئة الاقتصادية الى المجتمع المسلم، والتي منشؤها الاصلي الاستئثار بالمال والتبذير والبخل والربا والاحتكار وما الى ذلك من الامراض الاقتصادية التي لها منشأ نفسي، أو اجتماعي.

والإمام علي أمير المؤمنين a جاء الى الحكم في عهد كان فيه الفقر قد بلغ أوجه نتيجة لعوامل تركيز الثروة عند طبقة بني أمية في عهد الخليفة عثمان بن عفان وقد قاد ذلك الى ظهور التفاوت الكبير بين طبقتي الاغنياء والفقراء فكان على الإمام علي أمير المؤمنين a مسؤولية فادحة في استئصال هذا الداء الوبيل، فبذل قصارى جهده للبلوغ بالمجتمع الاسلامي الى مستويات العدالة الاسلامية التي كانت على عهد النبي محمد i وسلم) فنراه قد جند نفسه في القول والعمل لمكافحة اسباب الفقر، ووضع منهجاً خالداً لإقامة مجتمع العدالة التي يتساوى فيها الفقير مع الغني، فينزل الغني تواضعاً لمستوى الفقير، ويصعد الفقير عزاً لمستوى الغني، وعليه فإن مجال المعالجة تكمن في العمل الميداني، وفي الاوامر والنواهي والمواعظ والنصائح التي قدمها الامام للأمة الاسلامية بغية ىتجنيبها مكاره الفقر والفاقة.

ولأن دراستنا تدور حول كام أمير المؤمنين a ، فقد آلينا على انفسنا تجاوز المعالجة الميدانية والاقتصار على المعالجة الكلامية، وهي قد تناولت مشكلة الفقر من الزوايا التالية:

أولا: خطورة ظاهرة الفقر.

ثانياً: اسباب الفقر.

ثالثاً: معالجة الفقر، وينقسم الى موضوعين:

- المعالجة الاخلاقية.
- المعالجة الاقتصادية.

رابعاً: كيفية الوقاية من الفقر.

لكن قبل كل شيء علينا أن نتعرف على ماهية الفقر ومن هو الفقير؟

معنى الفقر والفقير:

المعنى اللغوي للفقير من الفقار وهو عظام الظهر، والفقير كما ورد في الصحاح هو المكسور فقار الظهر(الجوهري: الصحاح، ٢/ ٧٨٣(فقر). للدلالة على ما يحمله الفقير على ظهره من المصائب بسبب فقره.

أما المعنى الاصطلاحي للفقير، فقد ذكرت الموسوعات الفقير؛ الذي لا يستطيع أن يعيش نفسه وعياله(فريد وجدي، محمد: دائرة معارف القرن العشرين، ١٤٣١/٣(الفقر). وهو الذي يطلب من الناس الحاجة.

أما الاصطلاح الفقهي: فالقير هو الذي يقصر حاله عن مؤنة سنته، وقيل من يقصر ماله عن أحد النصب الزكوية (المحقق الحلي: شرائع الاسلام، ١١٢/١، كتاب الزكاة) والمؤنة، يعني المصرف لنفسه وذوي نفقته الواجبة: أكلاً ولباساً ومسكناً وسفراً وتداوياً للمرض وهدايا إذا كانت لازمة.

أما النصب الزكوية فهي: عن عشرين ديناراً، أو عن مائتي درهم، أو عن أربعين شاة، أو عن خمسة أوسق من الغلات.

وأكد - السيوري - في كنز العرفان المعنى الاول الذي أخذ به المحقق الحلي وهو عدم امتلاك مؤنة سنة له ولعياله(السيوري: كنز العرفان في فقه القرىن، ٢٣٤/١).

خطورة ظاهرة الفقر:

الفقر في كلام أمير المؤمنين a ظاهرة اجتماعية سيئة، فقد وصفها الإمام بارذل الأوصاف، وهي اوصاف حقيقة تعكس ماهية الفقر وابعادها السيئة على البشرية، فلنتأمل كلمات أمير المؤمنين a .

١. (الفقر الموت الأكبر)، (من الكلمات القصار:رقم ١٦٣- راجع ابن ابي الحديد في ٣٨٦/١٨)، وليس من باب التشبيه؛ بل من باب الحقيقة؛ فالفقر هو الموت بعينه، لأنه لا معنى لحياة الانسان اذا كان فقيراً، إذ خلق الله الانسان ليسعد في هذه الحياة لا ليشقى فيها، وفي هذا المعنى قال امير المؤمنين a أيضاً:" والقبرُ خيرٌ من الفقر"(ابن شعبة الحراني: تحف العقول، ص٦٣).

٢. (الفقر يُخرس الفطنُ عن حاجته)، (قصار الكلمات: رقم ٣، ابن ابي الحديد:٨٧/١٨)، يتسبب الفقر في سلب القدرة على التعامل الاجتماعي، فيفقد الفقير الجرأة على الأخذ والعطاء فيصبح إنساناً مسلوب الإرادة غير قادر على الحركة حتى لو كان معافى جسدياً لأنه سقيم النفس والروح، وهذا هو الموت الكبر الذي تحدث عنه الإمام أمير المؤمنين a في كلمته الولى، وقد ذُكر الحديث بشكل آخر هو: " والفقر يخرس الفطن عن حجته"(شرح نهج البلاغة: محمد بن عبده،ص٦٥٩)، فالفقر يسلب من الانسان الجراة الأدبية حتى لو كان الفقير عالماً، حيث يجعله منطوياً في داخله غير قادر على إبداء رأيه واطلاق حجته، فالفقر يسلب من الانسان الشجاعة التي يجتاجها في حياته الاجتماعية والعلمية.

٣. (يا بُني إني أخاف عليك الفقر، فاستعذ بالله منه، فإنَّ الفقر منقصةٌ للدين، مدهشة للعقل داعيةٌ للمقت) (قصار الكلمات: رقم ٣١٩، ابن ابي الحديد، ٢٢٧/١٩)، آثار وخيمة على دين الانسان وعلى عقله. فإا سلب منه هذان الركنان المهمان فإنه سيسقط اجتماعياً، ويصبح عنصراص مكروهاً منبوذاً في المجتمع.

والفقر هو خطوة متقدمة نحو الكفر، لأن الفقير سيفقد توازنه بسبب الحاجة فيتناقص من دينه، ويتناقص من عقله حتى يصبح عرضة للسقوط في هاوية الضلال، وكلما ازداد فقراً ازداد قرباً الى النهاية المأساوية؛ وهي الكفر.

هذا هو - الفقر- بنظر الإمام أمير المؤمنين a فهو أخطر ما يواجه المجتمع من الأوبئة الفتاكة.

يقول العالم الغربي"توفيكو" في كتابه الاكاذيب المصطلح عليها في المدنية الحاضرة." ومهما كانت بشرى رجال الدين للفقراء بمنازل الآخرة يصلوا الى تحبب الفقر للناس"(توفيكو:الاكاذيب، ص٢١١).

فمن قال: بأنَّ الدّين يحبب للناس الفقر؟ فإذا كان هذا هو واقع المسيحية فإن الاسلام برءٌ من هذه التهمة؟. وهذه خطب أمير المؤمنين a شاهد على ذلك. نعم هناك احاديث واقوال تصبر الفقير حتى لا يخرج عن حالته السوية، لكنها لا تطلب منه أن يبقى فقيراً، بل بالعكس تطلب منه وبإلحاح أن يتحرك نحو الغنى.

أسباب الفقر:

هناك ثلاثة آراء في أسباب الفقر:

الرأي الأول: يعتقد بأن الموارد الطبيعية محدودة لأن مساحة الأراضي الصالحة للزراعة، وحجم الثروات المعدنية، وحجم الثروات الحيوانية محدود أيضاً، فلا يمكن أن نزيد في مساحة الأراضي التي نعيش عليها، ويستخلص اصحاب هذا الرأي: أن الطبيعة عاجزة عن تلبية حاجيات كل الناس، فقسم من البشر سيحرمون من الثروة وهم الفقراء، فالفقر هوظاهرة حتمية عند هؤلاء، وهذه هي عقيدة الرأسماليين، وعلاجهم للفقر يكمن في الطرق الاستئصالية غير المقنعة، فمثلاً: دعا " مالتوس" الى تحديد النسل انطلاقاً من فكرة التباين ين الزيادة الكامنة وزيادة معدلات النمو الاقتصادي.

الرأي الثاني: يرى ان الفقر ناشئ عن التناقض بين شكل الانتاج وعلاقات التوزيع، ويعتقد هؤلاء - وهم الماركسيون - متى تم الوفاق بين شكل الانتاج والعلاقات التوزيعية ساد الاستقرار في المجتمع.

الرأي الثالث: رأي أمير المؤمنين a ، إذا ما عرضنا رأي الرأسماليين على نهج البلاغة لوجدنا الخلاف تماماً، إذ جاء في الخطبة ٩١: " وهو المنان بفوائد النعم، وعوائد المزيد والقسم، عياله الخلائق، ضمن أرزاقهم، وقدّر أقواتهم، ونهج سبيل الراغبين إليه،

والطالبين ما لدنه، وليس بما سئل بأجود منه بما لم يُسأل".

ثم ذكر ما في الأرض والبحار من الثروات: " ولو وهب ما تنفست عنه معادن الجبال وضحكت عنه اصداف البحار من فلز اللجين(الفضة الخالصة) والعقيان(الذهب) ونثار الدُّر(خلاصة الدّر) وحصيد المرجان(نبات المرجان) ما أثر ذلك في وجوده، ولا أنفّذ سعة ما عنده...".

ثم يبن الإمام نعم الله سبحانه وتعالى في الأرض:" فلمّا ألقت السحاب برك بوانيهاوبعاع ما استقلت به من العبء الحمول (الثقيل) عليها، أخرج به من هوامد الارض النبات، ومن زعر(موضع قليل النبات) الجبال الاعشاب..."

وياتي دور التوزيع:" وقدَّر الارزاق فكثرها وقللها، وقسمها على الضيق والسعة فعدل فيها ليبتلي من أراد بميسورها ومعسورها، وليختبر بذلك الشكر والصبر من غنيها فقيرها"(خطبة ٩١:- في المعجم، وفي شرح محمد عبده،ص٢١٢، وهي تعرف بخطبة الاشباح وهي من جلائل خطبه a وكانسأله سائل ان يصف الله حتى كأنه يراه عياناً، فغضب a لذلك.

ويؤكد هذا النص الرائع على الأفكار الآتية:

١. الخلائق كلهم عيال الله سبحانه وتعالى، وانه قد ضمن رزقهم.

٢. أودع الله سبحانه وتعالى في الأرض نعمة في البرّ والبحر وهي لا تحصى.

٣. الله سبحانه هو المسؤول عن تقسيم الارزاق بين عباده، فيكثر هنا ويقلل هناك وذلك لامتحان عباده.

٤. عمل الانسان هو المعيار في الرزق، وبالتالي فهو مسؤول عن فقره وغناه.

ويقول الإمام أمير المؤمنين a : " إنَّ الله سبحانه فرض في اموال الاغنياء أقوات الفقراء: فما جاع فقير الا بما متع به غني، والله تعالى سائلهم عن ذلك"(قصار الكلمات: رقم٣٢٨، في المعجم).

ومعنى قول أمير المؤمنين a :

١- الأغنياء هم المسؤولون عن قوت الفقراء إذ فرض الله في أموالهم حقوقاً للفقراء

لابدّ من أدائها.

٢- عندما يمنع الأغنياء هذا الحق من الوصول الى مستحقه يكون الفقر.

ويلاحظ في هذا النص؛ أن سوء التوزيع هو سبب مهم من أسباب الفقر لكنه بالكيفية التي قالها أمير المؤمنين a لا بالكيفية التي قالتها الماركسية لأن ما ذكرته الماركسية يتناقض والحقيقة، ففي ظل النظام الاشتراكي الذي شهد نهاية التناقض بين شكل الانتاج وعلاقته كان من المفترض أن تنته ظاهرة الفقر، لكننا وجدنا الفقر ينخر في عظام الشعب السوفييتي، ليعط دليلاً آخر على على فشل النظرية الماركسية.

يبقى علينا بعد كل ما تقدم أن نستنتج أسباب الفقر من كلمات أمير المؤمنين a .

السبب الأول: تمركز الثروة عند الأغنياء، ومن طبيعة الملك الإستئثار: من ملك استأثر، ومنع الثروة عن الآخرين، حيث نلاحظ الاستئثار بالثروة على أبشع صورة تحت نير الفقر والفاقة، وكانت النتيجة أن خمس سكان الأرض يستهلكون ثلثي الانتاج العالمي، بينما لايبقى للثلثين الا الشيء الضئيل"(شافعي، محمد زكي: التنمية الاقتصادية، ٢/١).

السبب الثاني: حصر مصادر الثروة بطبقة خاصة من الناس، وهو ما نشاهده في دول العالم الثالث حيث نجد ان وسائل الانتاج وفرص العمل متمركزة في أيدي عدةمن الناس يترابطون بالولاء القبلي أو الجزبي أو ما شابه. ويرافق هذه الظاهرة انعدام فرص العمل امام الاخرين. الأمر الذي يجعلهم في فقر مدقع، وقد ورث الامام أمير المؤمنين a حكماً قائماً على ظاهرة الاستئثار حيث كان بنو أمية وبطانتهم يتقاسمون ثروات البلاد.

وعندما جاء امير المؤمنين a الى الحكم عزم بكل قوة على مواجهة هذه الظاهرة ففي كتابه الى مالك الأشتر يقول له: " ثم إنّ للوالي خاصة وبطانة، فيهم استئثار وتطاول، وقلة إنصاف في معاملة. فاحسم مادة اولئك بقطع أسباب تلك الحوال ولا تقطعنّ لأحد من حاشيتك وحامتك قطيعة ولا يطمعنّ منك في إعتقاد عقدة، تضرُّ بمن يليها من الناس، في شرب أو عمل مشترك..."(كتابه الى مالك الأشتر رقم (٥٣)).

فعلى الوالي واستناداً لهذه التعاليم:

١. يجب عليه أن يساوي بين القريبين والبعيدين.

٢. لايحق له ان يعطي اموالاً لخاصته أكثر مما يستحقونها.

٣. عليه ان يلغي ظاهرة البطانة بتصفيته للعوامل المكونة لهذه الطبقة من المستأثرين.

السبب الثالث: استئثار الحاكم بالاموال، وهو أحد اسباب الفقر من العهد الذي ورثه الامام امير المؤمنين a . فقد ذكر المسعودي خبراً عن عبد الله بن عتبة أن عثمان يوم قتل كان عند خازنه من المال خمسون ومائة الف دينار والف الف درهم، وقيمة ضياعه بوادي القرى وخلف خيلاً كثيراً وإبلاً"(المسعودي: مورج الذهب، ٣٤٠/٢). فعندما يكون الحاكم مولعاً بجمع الاموال وتملكها فإنه سيؤثر نفسه على الآخرين. والحاكم الصادق هو الذي يشارك شعبه في محنته، ويعيش عيشة أضعف الناس فيهم. يقول الامام a في ذلك: أأقنع نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الهر، أو أكون أسوة لهم في جشوبة (الخشونة) العيش فما خلقت ليشغلني اكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همها علفها، أو المرسلة شغلها تقممها (القمامة) تكترشش من أعلافها وتلهو عما يراد بها..."

السبب الرابع: البطالة وهي تنشأ من عاملين: الأول خارجي وهو الأسباب التي ذكرناها آنفاً، والثاني: ذاتي وهو الكسل والعجز. والكسل هو ان يخلد الانسان الى الراحة، ويتهاون في العمل، وهو الطريق المسدود في اقتصاد الفرد في قبال اقتصاد المجتمع.

يقول الامام أمير المؤمنين a :

١. " لكل نعمة مفتاح ومغلاق، فمفتاحها الصبر ومغلاقها الكسل"(من الكلمات المنسوبة الى الامام امير المؤمنين a رقم(٨٠)، راجعرابن ابي الحديد في ٢٦٣/٢٠).

٢. " من أبطأ به عمله لم يسرع به حسبه"(ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة، ٢٦٣/٢٠ رقم ٨٠)، فالعمل هو المعيار لشخصية الانسان فلا قيمة لإنسان متهاون في العمل.

٣. " العجز آفة"(قصار الكلمات: رقم ٤)، فهو آفة اقتصادية يفتك بالمجتمع لأنه يحول أعضاءه الى عناصر مشلولة غير قادرة على العمل، وهناك نوعان من العجز: العجز الذي سببه حالات مرضية وجسدية فلا بدَّ من معالجة هذه الحالات حتى يرتفع العجز، والثاني: العجز كحالة نفسية حيث يصاب الانسان بالاوهام التي تجعله عنصراً مشلولاً في المجتمع، وهذا هو العجز الذي وضحه أمير المؤمنين a بالآفة.

٤. "إنّ الأشياء لما ازدوجت ازدوج الكسل والعجز فتنتج الفقر"(ابن شعبة البحراني: تحف العقول، ص١٥٤)، فالفقر ناشئ من الكسل، وهو حالة نفسية، والعجز وهوحالة جسدية مانعة للعمل.

٥. " البخل جامع لمساوئ العيوب، وهو زمام يقاد به الى كل سوء""(الكلمات القصار:٣٧٨)، فحبس المال يعني منع الخير عن الناس، واذا قيل الخير تحول المجتمع الى بيئة سيئة، فتكون حركة كل عضو فيه نحو السيئة، فتفشي البخل في مجتمع يعني اسقاط هذا المجتمع في هاوية السيئات. فالمجتمع الذي يبخل فيه ابناؤه لا يتقدم في الحياة، لأن العطاء هو السبيل الى التقدم.

قد يتصور البعض أن البخل بما أنه تحديد في الانفاق فهو نوع من الاقتصاد لكن يرد الامام أمير المؤمني a على هذا التصور الخاطئ فيقول في كلام منسوب له: "الفرق بين الاقتصاد والبخل أن الاقتصاد تمسك الانسان بما في يده خوفاً على حريته وجاهه من المسألة؛ فهو يضع الشيء موضعه، ويصبر عما لا تدعو ضرورة اليه، ويقبل صغير برّه بعظيم شره.."(منسوبة للإمام، ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة، ٢٨٣/٢٠، رقم (٢٣٩)، ويتجلى هذا الفرق في النقاط التالية:

١. الاقتصاد هو الامساك المعقول الذي يستهدف حفظ الشخصية والكرامة، هو الامساك الذي لاهدف له سوى تراكم الاموال.

٢. الاقتصاد: وضع الشيء في محله، بينما البخل لا يضع الشيء في محله.

٣. المقتصد يبذل حتى المقدار الصغير الذي يملكه بينما البخيل لا يبذل حتى هذا المقدار.

٤. المقتصد يعطي القليل حتى لو تحمل الكثير من الذّل.

صفات البخيل: الانسان البخيل كائن يختلف عن بقية الكائنات فهو نمط اقتصادي و سلوك خاص ولما كان هدفه الاول هو تكديس الاموال فهو على استعداد لأن يضحي بكل شيء من اجل هذا الهدف. ففي النص المنسوب الى الامام a جاء ما يلي: " أبخل الناس بماله أجودهم بعرضه"(منسوبة للإمام: ابن ابي الحديد، ٣٢٨/٢٠رقم٧٥٥).، فمن أجل تكديس المال هو على استعداد لأن يضحي بزوجته. فالبخيل بالمال كريم بكل شيء الا

بماله، وهذه هي النتيجة الطبيعية للبخل فلنتاملهذا الخبر الذي نقلته مجلة "غنس" للأرقام القياسية: " هنرييت غرين(١٨٣٥- ١٩١٦) هي أبخل بخلاء العالم بدون منازع فقد كان حسابها المجمد في مصرف واحد ١٣,٤٠٠,٠٠٠ دولار واضطر ابنها الة أن تقطع رجله بسبب تأخرها في أدخاله الى المستشفى لأنها كانت تفتش عن مستوصف أو مستشفى لا يتقاضى اجراً أي مجانياً، وقضت عمرها تأكل طعامها بارد لأنها انت تبخل على نفسها بدفع ثمن الغاز"(مجموعة غنس للأرقام القياسية: ص١٣٦).

وحقاً أن يتعجب الامام a من البخيل: " عجبت للبخيل يستعجل الفقر الذي هرب منه، ويفوته الغنى الذي إياه طلب، فيعيش في الدنيا عيش الفقراء، ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء"(الكلمات القصار:١٢٦، ابن ابي الحديد،١٢١).

أيها أضرّ البخيل ام الفقير

البخيل؛ كونه يكدس الاموال ويمنعها من الاستثمار في المجتمع هو أشد ضرراً من الفقير، لأن الفقير معدوم المال لكنه ليس معدوم الجهد، فهو يستخدم جهده في العمل وبهذا المقدار يحرك عجلة الاقتصاد، بينما البخيل لا فائدة مرجوة منه، لا من جهده، ولا من ماله فهو أضرّ من الفقير وهذا معنى قوله a : " الشُّح أضرُّ على الانسان من الفقر، لأن الفقير إذا وجد اتسع، والشحيح لايتسع وإن وجد" (ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة، ٣٣٥/٢٠، رقم ٨٤٤).

درسٌ في التربية:

مرَّ الإمام أمير المؤمنين a بمزبلة ترمى اليها بفضلات البيوت، فوجدها صورة ناطقة عن حالة البعض فقال لأصحابه: " هذا ما بخل به الباخلون" وفي خبرآخر أنه قال: " هذا ما كنتم تتنافسون فيه بالأمس"(الكلمات القصار، ١٩٥).

فلو كان يفكر كل انسان بحكمة، ويسير في حياته بتدبير ما كان يبقى شيء من الفضلات في حياته لأن ما يزيد عن حاجته كان من نصيب أشخاص آخرين من المحتاجين.

السبب السادس: هدر الأموال، ويسمى بالتبذير، وهو من الممارسات الخاطئة التي كافحها الاسلام أشدَّ مكافحة، ووصم المبذرين بأنهم إخوان الشياطين، وخطر المبذر على المجتمع لا يقل عن البخيل، فإذا كان الأخير يحبس الأموال ويمنعها من الحركة فإنَّ الأول

يهدر – هذه الأموال في قضايا لا طائل من ورائها.

السبب السابع: حبس المنافع، وهو ما يسمى بالاحتكار، وسبب الاحتكار هو انتظار صعود الأسعار، وهو يحدث في العادة في الظروف المتقلبة بسبب العوامل الخارجية كالحرب والوباء وما شابه.

وقد شدد الإسلام على تحريم الإحتكار لعواقبه الوخيمة على المجتمع، فنجد الإمام أمير المؤمنين a ، يؤكد علة واليه في مصر وبإصرار على قلع جذور الإحتكار قائلاً له: "فامنع من الاحتكار- فإن رسول الله i منع منه"(كتابه الى مالك الأشتر: رقم ٥٣).

السبب الثامن: الرهبنة، فالإسلام دين واقعي فهو يؤمن بالتوازن في الحياة، بالتوازن بين عمل الدنيا وعمل الآخرة، بالتوازن بين متطلبات الدين و متطلبات النفس، فهو يرفض الرهبنة، والتصوف والانقطاع الكامل الى العبادة لأنه مخل بالتوازن.

قال العلاء بن زياد الحارثي للإمام أمير المؤمنين a : أشكو إليك أخي عاصم بن زياد قال: لبس للعبادة وتخلى عن الدنيا، قال: "على به"، فلما جاء قال: " يا عديّ نفسه: لقد استهام بك الخبيث! يأما رجمت أهلك وولدك: أترى الله أحلّ لك الطيبات وهو يكره أن تأخذها، أنت أهون على الله من ذلك"(الخطبة: رقم ٢٠٩).

علاج الفقر:

ذكرنا فيما تقدم أسباب الفقر كما وردت في كلمات أمير المؤمنين a وبالطبع فإنّ القضاء على هذه الاسباب هو السبيل الى معالجة هذه الظاهرة، ويضاف الى تلك الاسباب عوامل أخرى تساعد على إنهاء حالى الفقر في المجتمع نستخلصها من كلمات أمير المؤمنين a وهي تنقسم الى قسمين:

أولاً: التوصيات الأخلاقية

وهي على قسمين:

القسم الأول: توصيات للفقراء وهي:

١- القناعة بما يكفيه: وألا يطمع الانسان بما يزيد على كفايته، فإذا كان ما يكفيه هو

مقدار من الطعام يستطيع الحصول عليه، فإذا أخذه الطمع بما هو أكثر من ذلك فهو الفقر بعينه.

يقول أمير المؤمنين a : " مجاوزتك ما يكفيك فقر لا منتهى له"(ابن ابي الحديد: ٢٨٨/٢٠،رقم ٢١٣)، لأن الطمع بما هو أكثر من الكفاية يوجد في الإنسان بالحاجة، ولما يستطيع تلبية هذه الحاجة فغنه يدخل حينذاك في عدادىالفقراء، بينما اكتفاء الإنسان بحاجاته الضرورية يجعله غنياً عمّا في أيدي الآخرين، وهذه هي القناعة التي قال عنها أمير المؤمنين a " القناعة كنز لاينفد"(ابن ابي الحديد١١/١٩٨).

٢- الصبر والتحمّل: الفقير الصابر عنصر ايجابي في المجتمع، فبصبره وتحمّله يكون قادراً على تغيير مسار حياته من الفقر الى الغنى، عندما يكون صابراً يكون مالكاً لإرادته، ويصبح قادراً على انتهاز الفرص فينقلب وضعهالى الأحسن، والحياة كلها فرص. يقول أمير المؤمنين a " إحتمال الفقر أحسن من احتمال الذل"(ابن ابي الحديد: ٢٩٤/٢٠، رقم ٣٦٤).

٣- الإستقامة: فكثيراًما يخرج الفقر صاحبه عن الجادة فينحرف لأنه لا يستطيع تحمّل ضغوطات الحياة، فيصل به الفقر الى حدّ الكفر، من هنا جاءت وصية الامام أمير المؤمنين a للفقراء:" لا يكن فقرك كفراً"(ابن ابي الحديد٢٠/٢٩٦رقم ٣٨٨).

٤- العفة: وهو أن لا يبذل ماء وجهه بالسؤال، فإنه سيعتاد على ذلك، الأمر الذي يوفقه عن الحركة باتجاه الأحسن، يقول الإمام أمير المؤمنين a " العفاف زينة الفقر"(قصار الكلمات: رقم ٣٤٠)، فالعفة تمنع الفقير من ارتكاب الموبقات، ومنها السرقة والاستيلاء على أموال الناس، وقد حثّ الإمام الفقير على عدم تكرار المسألة لأن بتكراراها سيمنع في يوم من الأيام، وسيعقب ذلك المنع آثار نفسية واجتماعية هو في غنى عنها.

٥- ذم الدّنيا: فحبُّ الدنيا والركض وراءها يحسس الفقير بفقره، وبدون ذلك يكون الفقير قانعاً. وللإمام أمير المؤمنين a أحاديث كثيرة في هذا المضمار منها: " فلتكن الدنيا في أعينكم أصغر من حثالة القرظ"(خطبة: رقم ٣٢)، " ولبئس المتجر أن ترى الدنيا لنفسك نفساً" (خطبة: رقم ٣٢)

والمقصود بذم الدنيا هو الرغبة التامة لها والانصراف اليها كليّاً، وعدم التفكير بلآخرة. فالذي يستحق الذَم هو الذي جعل الدنيا كلّ همه.

أمّا الدنيا الحقسقة، دنيا الكدح والعمل، ودنيا العمل الصالح فهو مطلب الأئمة d .

جاء أحد اصحابه وهو يذّم الدنيا فأنكر الإمام أمير المؤمنين a عليه ذلك وقال له: "إن الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار عافية لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزوّد منها، ودار موعظة لمن اتعظ بها"(الكلمات القصار: رقم ١٣١)

وهكذا يريد الاسلام من المسلم أن يعمل للدنيا وأن يشقى ويتعب لكن لا يجعل همه الدنيا فشعار المسلم هو هذا النص من نهج البلاغة:

" لا تطلب الحياة لتأكل: بل اطلب الأكل لتحيا" (ابن ابي الحديد: ٣١٧/٢٠، رقم ٨٢٤).

فالدنيا وسيلة وليست غاية، والغاية هي رضى الله سبحانه وتعالى، فقد كان أمير المؤمنين، يكد ويكدح ويحصل على المال، وكان له من امواله الخاصة الكثير، فقد ورد أنه اشترى من امواله الف عبد واعتقهم في سبيل الله(الحرّ العاملي: وسائل الشيعة، ٢٤/٦).

القسم الثاني: وصايا للأغنياء:

الأغنياء هم الذين يقفون في الطرف الآخر من مشكلة الفقر، لذا توجّه إليهم الإمام أمير المؤمنين a ليرتقي لهم منبر الوعظ والإرشاد على أمل أن يكفوا عن معاناة إخوتهم الفقراء.

من أهم ما قاله للأغنياء.

١- **عدم الإستطالة على الفقراء:** أي لا يرى الغني نفسه أكبر من الفقير، فقد سئل الإمام a عن أمور هي أعجل في العقوبة قال: " استطالة الغني على الفقير"(ابن ابي الحديد: ٢٨٨/٢٠، رقم ٢٩٤)، والإستطالة بما يحمل هذا اللفظ من معاني التكبر والرفعة هي بداية نشوء الطبقية في المجتمع، والطبقية هي زلزال يحطّم المجتمع ويقوده الى أمراض كثيرة.

٢- **الإسراع في تلبية حاجة الناس:** واستقبال المحتاجين بالبشر والتواضع. يقول الإمام أمير المؤمنين a : "الق الناس عند حاجتهم اليك بالبشر والتواضع، فإن نابتك نائبة

وحالت بك حالٌ لقيتهم وقد أمنت ذلة التنصل إليهم والتواضع"(ابن ابي الحديد:٣٢٥/٢٠، رقم ٨٥٦)، وهذا أكبر الإيثار وأفضل الصفات قاطبة أن ترى غنياً يتواضع للفقير في سبيل الله، فيقول الإمام a :" ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلباً لما عند الله"(ابن ابي الحديد: ٢٩٦/٢٠، رقم ٣٨٨)

٣- **ان يكون شاكراً لله:** فالمال الذي جاء اليه هو من الله فعليه ان يشكر الله الذي رزقه، وكان بمقدوره أن يشكر الله الذي رزقه، وكان بمقدوره أن يمنع رزقه، " الشكر زينة الفقر"(قصار الكلمات: رقم ٣٤٠).

٤- **السخاء:** وهو ان تبادر بالعطاء قبل السؤال، يقول الأمام أمير المؤمنين a : "السخاء ماكان ابتداء، فأما ما كان عن مسألة فحياء وتذمم"(قصار الكلمات: رقم ٥٣)، والمبادرون بالعطاء هم الأسخياء الذين إن ملكوا فقد انفقوا، وإذا انفقوا انتشر الخير، فأموالهم كالأرض الخصبة من شانها النماء والتقدم والرُّقي يقول الإمام أمير المؤمنين a : " اجتماع المال عند الأسخياء أحد الخصبين"(ابن ابي الحديد: ٢٠/ ٣٣٥، رقم ٨٣٩)، وهنا يغير الإمام موقفه من تجمع المال، فهو الذي وقف من هذه القضية الموقف الحازم نراه هنا يغير رأيه عندما يكون المال المتجمع عند السخي، لأنه ينفق ماله بلا عوض، والإنفاق يحرك عجلة الاقتصاد، وبالطبع سيكون الأسخياء سادة الناس وزعمائهم يلتف حولهم النَّاس من كل مكان.

٥- **المروءة:** وهو الوازع الضميري الذي يدفع بالإنسان الى إنصاف الآخرين والتعامل معهم بطريقة إنسانية عادلة، وهي صفة ضرورية لا يمكن إلغاءها خصوصاً في أصحاب الأموال الذين باموالهم تدار عجلة حياة الآلاف من العمال والعوائل المرتبطة بها.، يقول أمير المؤمنين a : " المروءة بلا مال كالأسد الذي يهاب ولم يفترس، والمال بلا مروءة كالكلب الذي يجتنب عقراً ولم يعقر"(ابن ابي الحديد: ٣٠٤/٢٠، رقم ٤٨٢).

ثانياً: الخطوات الإقتصادية:

وهي خطوات راكزة في المجتمع الإسلامي يمكن افتراسها عند النظرة الدقيقة، وقد سعى الإمام بهذه الخطوات الى ازالة شبح الفقر وايصال الفقير الى مستوى الغنى، لأن المجتمع

الإسلامي هو مجتمع الأغنياء كل فرد غني لا يشعر بالعوز بخلاف المجتمعات الماركسية التي توحِّد المجتمع اقتصادياً، لكن تجعلهم كلهم فقراء، وكلهم محتاجون الى الدولة وهي التي بيدها أموال المجتمع فهي - الغني الوحيد- في مجتمعهم والخطوات الاقتصادية التي قررها الإمام امير المؤمنين a ذات ثلاث اتجاهات:

الاتجاه الأول: خطوات يقوم بها الأفراد

الاتجاه الثاني: خطوات يقوم بها المجتمع بمجموعه.

الاتجاه الثالث: خطوات تقوم بها الدولة.

الخطوات التي يقوم بها الافراد

١- **طلب العلم:** فأكثر اسباب الفقر ناشئ من الجهل والفقر(وهذا رأي العالم (توفيكو) راجع دائرة معارف القرن العشرين:٣٥/٧)، فالزراعة بحاجة الى العلم، فاستصلاح الأراضي وتخليصها من الملاح وحرثها بالمكننة المتطورة، والاستزراع الآلي وحماية المزروعات من الأمراض والاوبئة كلها بحاجة الى العلم، فبدون العلم العلم لا تتقدم الزراعة، والصناعة أيضاً، من هنا جاء اهتمام الإسلام بالعلم وبالعلماء الذين اصبح لهم مكانة فائقة في المجتمع الأسلامي، والعلم المعنى هو العلم الميداني المرتبط بالحياة المقترن بالعمل، فـ" العلم مقرون بالعمل فمن علم عمل"(قصار الكلمات:٣٦٦) فهذا العلم هو المؤثر في حياة الناس والذي يكفل به تخليص المجتمع من الفقر والفاقة، يقول أمير المؤمنين a عن هذا العلم: " تعلموا العلم، فإنّه زيّن للغني، وعونٌ للفقير"(ابن ابي الحديد:٣١٠/٢٠،رقم٥٥٣)

فكيف يكون عوناً للفقير؟

الجواب: عندما يقرر إزالة فقره بواسطة العلم. فيتعلم كيف يزرع، وكيف يصنع البضائع. وهكذا فالعلم إذن هو الطريق الى الغنى إن اقترن بالعمل أي كان علماً ميدانياً وليس علماً نظرياً.

٢- **العمل:** لم يقدس الأسلام شيئاً كتقديسه للعمل، فقد جعله الأساس للعبادة ليس في الدنيا وحسب، بل و للآخرة أيضاً، فمن لا معاش له لا معاد له، وتبرز أهمية

العمل جلية في كلمات أمير المؤمنين a ونستطيع أن نضعها في النقاط التالية:

أولاً: العمل لا الأمل: هناك من يحلم بالآمال وينسى أنه مسؤول امام الله والمجتمع والأسرة فلا يعتني بما يراد منه في الحياة، والذي يعيش الآمال فقط يتحول الى انسان خيالي لا يعيش الواقع. بينما الإسلام دين واقعي ويريد منّا أمير المؤمنين a أن نكون واقعيين. فقال: " فبادروا العمل وكذبوا الأمل"(خطبة رقم: ١١٤).

ثانياً: العمل يمثل شخصية الإنسان: يعرف الإنسان بعمله، وقيمته هو ما يحسنه، فإذا كان تاجراً مستقيماً فإنَّ شخصيته في المجتمع على هذه المهنة. وهكذا بقية المهن والأعمال، وقال أمير المؤمنين a : " من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه"(قصار الكلمات: ٢٣).

ثالثاً: القول عملٌ أيضاً: العمل؛ هو ما ينتفع به الانسان في دنياه وآخرته، وكل جهد يبذله الانسان لابدَّ وان يكون ضمن هذا السياق. والكلام مجهود يقوم به الانسان وهو بحد ذاته نوع من انواع العمل. يقول أمير المؤمنين a : " ومن علم أن كلامه من عمله قلّ كلامه"(قصار الكلمات: ٣٤٩).

رابعاً: العمل لامدى له: حبُّ الانسان للعمل يجعله دائماً في حماس لا نهاية له، ويعمل ويكد ولا يكل من العمل حتى لو كان قاسياً الا انه في قرارة نفسه كأنه لم يعمل شيئاً، يقول أمير المؤمنين: " إذا فعلت كل شيء فكن كمن لم يفعل شيئاً"(ابن ابي الحديد: ٢٦٣/٢٠، رقم ٨١).

٣- الأنتاج والاستثمار: في الإنتاج يقول الإمام a :" من وجد ماءً وتراباً ثمَّ افتقر فأبعده الله"(الحر العامل: وسائل الشيعة، ٢٤/٦)، ومن الانتاج يتكون المال فيأتي دور الاستثمار، والاستثمار يمنع حبس المال إذ يضعه في خدمة المجتمع إما بالمضاربة أو المزارعة أو التجار أو ما شابه من أبواب الكسب الحلال، فمره الذي يمثل الوقت - رأسمال- والشباب الذي يمثل القدرة والطاقة - رأسمال- والمال رأسمال الى جانب الرساميل الأخرى. ويوم القيامة يوقف الانسان ليسأل عن هذه الطاقات الهائلة كيف صرفها، وكيف أنفقها؟ يقول أمير المؤمنين a : " ولا يزول قدم ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم

أنفقه، وعمّا عمل فيم علم"(ابن ابي الحديد: ٢٠/ ٢٦٩، رقم ٣٣)، فعلى الانسان أن لا يتباطأ في استثمار ما أنعم الله عليه، لأن الظروف تتغير، وقد يحتاج الانسان بعد ان كان غنياً فالمال الذي استثمره في وقت غناه سينفقه إذا تغيّر به المال.

٤- إنفاق الزكاة: الإنفاق مستحبٌ، أمّا الزكاة والخمس فهما واجبان لا مجال للتسامح معها. وهي في واقع الأمر وسيلة لسعادة المجتمع ورفاهه لأن الباذل لهذا الأموال سيشعر بالطمأنينة والراحة النفسية إذ يرى ثمار امواله قد اشبعت الجياع وكست العراة، وفي الوقت نفسه سيزيد هذا المال في الحركة الاقتصادية، ويدفع بالمجتمع الفقير الى النشاط بدلاً من الجمود بسبب الافتقار الى السيولة المالية. ومن هنا جاء تاكيد الإمام أمير المؤمنين a على مبدا الزكاة:" الزكاة جعلت مع الصلاة قرباناً لأهل الإسلام"(خطبة:١٩٩).

٥- تنظيم الأسرة: في البدء لا بدَّ من التمييز بين تحديد النسل وتنظيم الأسرة، فتحديد النسل يقوم على نظرية قال بها مالتوس(من علماء الاقتصاد الانكليز له كتاب" محاولة النظر في التناسل" قال فيه بتحديد عدد المواليد لئلا يعجز العالم عن القيام بمعيشتهم) مضمونها؛ أن الزيادة السكانية في الأرض لا تتناسب والنمو الاقتصادي، إذ وجد مالتوس؛ أنَّ البشر يتزايدون بمتوالية هندسية بينما النمو الاقتصادي يسير وفق متوالية حسابية وعليه سيأتي اليوم الذي ستكون فيه موارد الأرض غير كافية لإشباع حاجات البشرية كلها، ووضع مالتوس حلاً لهذه المشكلة هو تحديد النسل ولكنّه لم يكن العلاج الحقيقي لهذه للمشكلة، وقد ناقش العلماء هذه النظرية وكتبوا عليها ردود كثيرة منها رد توفيكو" وبقي رأيه نظرياً محضاً لم يثبته بالفعل وعارضه فيه اكثر الاقتصاديين استناداً على الحقائق الطبيعية والميل الغريزي البشري وعواطفه التناسلية"(توفيكو: الأكاذيب، ص٧٢).

وفعلاً أثبتت الوقائع بعد مالتوس؛ أن الارض تضم بين دفتيها ثروات هائلة تكفي لو تمَّ استثمارها لعدّة اضعاف من سكان الكرة الارضية.

فالمشكلة إذن: لا تكمن في قلة أو محدودية الموارد، بل في عدم اسغلال هذه الموارد، وفي سوء توزيع الثروة. وإنَّ تحديد النسل لا يعالج المشكلة من جذورها، نعم قد يخفف من

أعراضها بصورة مؤقتة لكن على المدى البعيد سيؤدي الى تناقص عامل آخر أهم من عوامل التنمية الإنتاجية وهو الموارد البشرية.

إذن: ماهو الحل؟!!

الجواب: كما قرر أمير المؤمنين (عليه االسلام) بتنظيم الأسرة، وهو بتقدير عدد الأبناء بشكل يتناسب والدخل، فإذا زاد الدخل فالمشكلة باتت محلولة من جذورها، وإذا قلّ الدخل لظروف قاهرة فيتم تحديد أفراد الأسرةعلى مقدار الدخل كما يقول الإمام: " قلة العيال أحد اليسارين"(قصار الكلمات: ١٤١).

ولما كان المجتمع الإسلامي هو مجتمع الأغنياء، فالفقر هو مجتمع الأغنياء، فالفقر هو حالة استثنائية، والحالة الإستثنائية تعالج بحل مؤقت، كذلك فإنَّ الفقر يظهر في المجتمع كحالة فردية وليس كحالة اجتماعية، لذا كانت الحاجة الى حل فردي وما ثبته الامام في قانون تنظيم الأسرة.

خطوات يقوم بها المجتمع:

ينظر الاسلام الى الفقر كحالة استثنائية يجب الإسراع الى حصرها في أضيق دائرة، ومن ثمَّ القضاء عليها نهائياً، والمجتمع يتحمل قسطاً من المسؤولية لمعالجة هذه المشكلة، وطرق المجتمع في دفع الفقر عن ابنائه فهي:

أولاً: التكافل الإجتماعي: وهي فكرة رائدة لم يسبق الاسلام اليها أحد، وهي تبين انسانية النظام الاسلامي ومناقبيته التي لا حدود لها خلافاً للأنظمة الرأسمالية التي يسحق فيها الانسان والتي لا يمكن فيها للفقير والمعدم.

فمن واجب المجتمع حماية الفرد من أي عدوٍ داخلي أو خارجي، والفقر والمرض والجهل هي من الامراض الداخلية التي تفتك بالإنسان وترمي به الى غياهب النسيان. وقد أرسى امير المؤمنين a مبدأ التكافل الإجتماعي في خطبه الكثيرة، وعملياً باشر هو بنفسه هذه المهمة حتى استطاع السيطرة على ظاهرة الفقر التي نجمت عن سوء التطبيق في عهد الخليفة عثمان بن عفان ففي كلمته الرائعة التي تعتبر آية من آيات الجمال الأدبي والحكمي، قوله (عليه اسلام) الذي اصبح مثلاً يضرب به في كل مكان:

"إنَّ الله سبحانه فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء، فما جاع فقيرٌ الا بما متّع به غني، والله تعالى سائلهمعن ذلك"(قصار الكلمات: ٣٢٨).

ثانياً: إقامة التعاونيات: أقام الاسلام مجتمعاً متعاوناً، كل عضو فيه مرتبط بالعضو الآخر، وكل عنصر فيه يمدُّ الحياة للعنصر الآخر. وعلى أفق هذه الروح الاجتماعية نبذ الاسلام الرِّبا باعتباره طريق لإستغلال المجتمع، وليس طريقاً للتعاون والإسلام يكلف المجتمع مسؤوليات جسيمة في تنشيط عجلات الاقتصاد مبتنياً منهجه على مبدأ التعاون والمشاركة، مستفيداً من قيم التعاون، الأخوة، العطاء، الإيثا التي أوجدها في هذا المجتمع، وكان حرّي بالإمام أمير المؤمنين a إحياء هذه الرّوح وبعثها من جديد بعد أن كادت أن تخمد في عهود السيطرة الفردية.

يبررالإمام نظرية التعاون الاقتصادي بالحاجات المتبادلة التي لا يمكن الفكاك عنها. فالبشر أحدهم بحاجة الى الآخر ولا غنى لإنسان عن انسان آخر يقول الإمام a : " لا تدعُ الله أن يغنيك عن الناس فإنّ حاجات الناس بعضهم الى بعض متصلة كاتصال الأعضاء، فمتى يستغني المرء عن يده، أو رجله، ولكن ادعُ الله أن يغنيك عن شرارهم"(ابن ابي الحديد: ٣٢٢/٢٠/ رقم ٦٩٥).

فالكل محتاج الى الكل ولا يمكن الانفصال عنه، فطالما حاجات الانسان متنوعة فحاجته الة افراد المجتمع في تزايد مع تزايد حاجته.

ثالثاً: الرقابة على الدولة: المجتمع مسؤول عن تصرفات الدولة من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكان على أبنائه أن يفتحوا عيونهم حتى لا يؤخذوا على حين غرّة، فأكثر البلاء الذي يجري على رأس المجتمعات مصدره بعض الذين يقومون بإدارة دفة شؤونه، بالأخص الإدارة المالية. وحاكم كالإمام أمير المؤمنين a الذي يعلن للناس يوم مجيئه للحكم: " يا أهل الكوفة، إن خرجت من عندكم بغير رحلي وراحلتي وغلامي فأنا خائن"(الحر العاملي: وسائل الشيعة،٨٣/١١).

النتيجة:ـ

إن تطبيق المنهج الاصلاحي في الجانب الاقتصادي، وفق الرؤية الدقيقة لنهج البلاغة يسترعي الاخذ بما نص عليه النهج لتحقيق الاصلاح والانعاش الاقتصادي المنشود،

الذي ما زالت البشرية تتعثر في الهداية اليه، وابرز ملامح هذا المنهج هو:

١. العمل على تهذيب صور السلوك الاقتصادي للبشرية التي تعد انعكاساً للاستجابة الزمانية والمكانية والفكرية والروحية، الذي يحتاج الى دراسة المنهج الاسلامي بدقة والايمان بالغيب قبل كل شيء، يقول a : (فمن استطاع منكم ان يلقى الله تعالى وهو نقي الراحة من دماء المسلمين وأموالهم، سليم اللسان من أعراضهم، فليفعل)، وقوله a : (وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل واسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع).

٢. ومنها الوعي الاقتصادي للفرد والمجتمع والامانة والضمان الاجتماعي، ورعاية حقوق الفقراء وعدم التبذير والاسراف والادخار والاستهلاك الرشيد يقول a : (أقل ما يلزمكم لله ألا تستعينوا بنعمه على معاصيه).

٣. ومنها احترام الملكية الفردية والعامة والحرية الاقتصادية المنضبطة بثوابت الشريعة وعدم الظلم واحترام حقوق الفرد والمجتمع والدولة والالتزام بنصوص الشريعة فيما يتعلق في المواريث والديات وكل ما يتعلق بالحقوق المالية، وقد توعد الله الظالمين لحقوق الآخرين، إذ إن المجتمع السوي هو الذي ينعم بالعدالة وممارسة حقوقه بكل انسابية ليحقق التوازن النفسي والاقتصادي في المحتمع، ثم إن هناك حكماً الهيه لا نعرف اسرارها أو عللها من تحديد النسب المفروضة، فإنّ للشارع المقدس حكمة في كل شيء يجب الايمان به واتباعه.

٤. ومنها الاهتمام بالصدقات المستحبة، وان كانت غير مفروضة على المسلم، الا أن الله تعالى امتدحها في كتابه المجيد قال عز من قائل: (والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم)، فالحق المعلوم غير الزكاة وهو شيء يفرضه الرجل على نفسه في ماله حسب طاقة وسعة ماله ان شاء في كل يوم وان شاء في كل جمعة وان شاء كل شهر.

ان التدريج والترتيب في تطبيق المنهج الاقتصادي عند الإمام علي a ، يعتمد على تغيير نمط الحياة الاجتماعية والثقافية والاخلاقية للمسلمين، وهذا يستدعي التخلي عن المحرمات واجتنابها، والتحلي بمكارم الاخلاق والتزيين بها.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتديء به القرآن الكريم

- أمير المؤمنين، الإمام علي بن أبي طالب a ، نهج البلاغة
- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (متوفى: ٣٩٣ق)، الصحاح، عطار احمد عبدالغفور (محقق)، ناشر: دار العلم للملايين، بيروت، ط٤
- وجدي، محمد فريد، دائرة معارف لقرن العشرين، نشر دار المعرفة، بيرت، لبنان، ط٣، ١٩٧١.
- الحلي، جمال الدين، جعفر بن حسن(ت٦٧٦هـ)، شرائع الإسلام في مسائل الحلال و الحرام، محقق/ مصحح: عبد الحسين محمد على بقال ناشر: مؤسسه اسماعيليان تاريخ النشر: ١٤٠٨ ه،ط٢
- السيوري، جمال الدين المقداد بن عبد الله (ت٨٢٦هـ)، كنز العرفان في فقه القرآن، اشراف وتصحيح محمد باقر البهبودي، نشرالمكتبة المرتضوية لأحيار الآثار الجعفرية، ١٤١٥هـ، ط٥.
- ابن ابي الحديد، فخر الدين ابو حامد عبد الحميد (ت٦٥٦هـ)، شرح نهج البلاغة، تحقيق محد ابراهيم، دار الكتاب العربي، بغداد، ١٤٢٨هـ، ط١.
- ابن شعبة الحراني، أبو محمد الحسن بن على بن الحسين، تحف العقول، عنى بتصحيحه والتعليق عليه على اكبر الغفاري الطبعة الثانية ١٣٦٣ - ش ١٤٠٤ - ق مؤسسة النشر الاسلامي (التابعه لجماعة المدرسين بقم المشرفة (ايران).
- محمد عبده، شرح نهج البلاغة، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٦هـ، ط١
- توفيكو، كتاب الاكاذيب
- الشافعي، محمد زكي، التنمية الاقتصادية، القاهرة، دار النهضة العربية (المطبعة العالمية)، ١٩٧٠، ط١.
- المسعودي، علين بن الحسين(ت ٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، مراجعة حسن مرعي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٥هـ، ط١.
- الحر العاملي، محمد بن حسن (١١٠٤ هـ)، تفصيل وسائل الشيعه إلى تحصيل مسائل الشريعه، تحقيق: الشيخ رحمة الله الرحمتي، مؤسسة النشر الاسلامي، قم المقدسة، ١٤٣٤هـ، ط٢.